تشويه الفُصحى بالعبارات الأجنبيّة والعامّيّة

الأب كميل حشيمه اليسوعيّ [٥]

المقدّمة: هل نستبدل الهجين بالأصيل؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ اللغات تحيا كما تحيا الشعوب، فتنشأ وتنمو، وتخضع للتطوّر، أو يُدركها التقهقر والجمود، فتموت. ومن دواعي الحيويّة في اللغة اتّصالها بغيرها من الألسن واكتسابها منها وإكسابها، فالعطاء يُثري على قدر الأخذ، كما هو شأن النار، فإنّها تزداد أُوارًا ووهجًا كلّما خرجت من ذاتها إلى سواها.

ومَثَلُ العربيّة من هذا القبيل كمَثَل نظيراتها، بدون استثناء. وأبحاث اللغويّين تشهد، بما لا مِراء فيه، لِما رَفَدت لغتُنا، إبّان العصور الإسلاميّة، جاراتها في الشرق كالتركيّة والفارسيّة والأوردويّة، أو في الغرب كالإسبانيّة خاصّةً[١]. وقد استعارت العربيّة، من جهتها، مئات الألفاظ من لغات كثيرة[٢].

ولئن كان اقتباس المفردات من مَعين اللغات الزاخر أمرًا يُفيد العربيّة لتسدَّ فراغًا لا تقوى هي على مَلئه، فالأمر يختلف عندما تتسرّب

---

(٥) مدير دار المشرق ومجلّة المشرق.

(١) الأب رفائيل نخله اليسوعيّ، غرائب اللغة العربيّة، الطبعة الرابعة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦. وقد أخبرنا المؤلّف، رحمه الله، وكان ملمًّا بنحو ٣٥ لغة، أنّ التركيّة والإيرانيّة والأوردويّة اقتبست ما يقارب ثلث مفرداتها من العربيّة.

(٢) أطلب فهارس المرجع السابق.

إلى لغتنا تراكيبُ أو صِيَغ نحويّة غريبة عن روحها، لا تغني مقدارَ ذرّة، لا بل تحوّر لساننا وتلطّخه بما تُقْحم فيه من ركيك العبارة وسقيم الأسلوب، ممّا يمجّه الذوق السليم، وتأباه الكرامة. فمَن منّا يَقْبَل أن يُشوِّه تراثه بعوائد لا طائل تحتها، أو أن يَستبدل بجواده الأصيل هجينًا؟ وممّا يؤسَفُ عليه أنّ تراكيب كثيرة مستقبحة راحت تنهال على العربيّة في الآونة الأخيرة، تُروِّج لها بعض وسائل الإعلام التي طالما عاثت في اللغة فسادًا فتذّد بها اليازجيّ، لِتَسَرُّع أربابها في الكتابة أو التعبير، وعدم تمكّنهم من أسباب لغتهم. ولمّا كانوا غير متضلّعين أيضًا من اللغات الأجنبيّة التي شاع استعمالها بين المتعلّمين، فقد ضاعوا بين هذه وتلك، وبين الفصحى والعاميّة، يخبطون خبط عشواء. والأنكى وما يزيد في الطين بَلًّا، أنّهم، في بعض الأحيان، يقومون بما يقومون به عمدًا وهم يعلنون: «نريد كسر طوق الجمود!». ولقد نَسوا، سامحهم الله، أنّ على المُصلح أن يبدأ بإصلاح نفسه، وما استطاع جاهلٌ قطّ أن يثقّف ما اعوجَّ أو يحرّك جمودًا.

وفي مقابل ما نشاهده عندنا من تساهل في شؤون لغتنا، يقف سوانا بالمرصاد لكلّ دخيلٍ عقيم ومستورَدٍ هجين يُخشى منه تلطيخُ جبين لسانهم. وعلى سبيل المثال، نورد بعض ما جاء في مقابلة صحفيّة أُجريت مع المرحوم الكردينال ألبير دُوكُورْتريه (Decourtray) بُعَيد انتخابه عضوًا في الأكاديميّة الفرنسيّة. فقد سُئِل، وهو المعروف بانفتاحه الكبير وبُعده كلَّ البعد عن التعصّب: «لا شكّ في أنّ اللغة الفرنسيّة تخضع لتأثيرات لغات أُخرى. فما هو في رأيك دور الأكاديميّة اليوم لتعيد إلى لغة موليير قدرتها وزخمها؟» أجاب: «أجل، ثمّة خطران عظيمان يتربّصان اليوم باللغة الفرنسيّة. أوّلهما تأثير اللغة الإنكليزيّة بأسوأ ما فيها، أعني بما هو أبعد عن القيمة الأدبيّة وأقرب إلى الناحية العمليّة. لا أرى في تشرُّبنا نتاجَ شكسبير سوى النفع والحسنات. لكن ينبغي أن نجاهد، على نحو ما يفعل أصدقاؤنا الكنديّون في مقاطعة كيبيك، ونتصدّى لجحافل الصيغ الإنكليزيّة التي لا طائل تحتها ولا ترضي الذوق السليم. والخطر الثاني يلتقي، بالحقيقة، الأوّلَ في بعضٍ منه. وقوامه تحجيمُ المفردات والنحو

وحصرها في أكثر الكلمات تقنيّةً وأقلّ الجمل إيحاءً. ولطالما أُعجِبْتُ بما لمستُ، لدى أصدقائي اللبنانيّين الناطقين بالفرنسيّة، من صفاء لغتهم الفرنسيّة هذه وغناها»[٣].

هذا رأي حبر من أحبار اللغة، وإنّه لرأي حصيف معتدل. فلِمَ لا نأخذ به بدلًا من رأي الضعفاء، القابلين بكلّ غلطٍ شاع، مدَّعين أنّ «الخطأ المشهور خير من الصحيح المهجور»؟ فإنْ قبِلْنا بالخطأ الشائع مرّة، قبلنا به مرّات، واستفحل أمره بمرّ الزمن وفسدت لغتنا في النهاية. وقد أحببنا أن نساهم من جهتنا في رأب ما تصدَّع، فسقنا عددًا من الملاحظات أُتيح لنا تدوينها في مطالعاتنا، مركّزين على بعض ما شاب العربيّة من تأثير اللغات الأجنبيّة، وعلى وجه التحديد الفرنسيّة في كثير من الأحيان، واللغة العاميّة في حالاتٍ قليلة.

أوّلًا: الهجين في الألفاظ[٤]

[إذا] قالوا: «سأله إذا جاء البوّاب». وتأثير الفرنسيّة هنا بيّن: Il lui demanda *si* le portier était venu. فلفظة «إذا» تتضمَّن، في العربيّة السليمة، معنى الشرط لا السؤال، في حين تتضمَّن اللفظة الفرنسيّة المعنَيَين. والصحيح أن يُقال: «سأله: هل جاء البوّاب؟».

---

(٣) - «Nul ne doute que la langue française subit les effets d'autres langues. D'après vous, quel serait aujourd'hui le rôle de l'Académie pour redonner à la langue de Molière sa grande force?»
- «En effet, deux grands dangers guettent aujourd'hui la langue française. Le premier est celui de l'influence de la langue anglaise dans ce qu'elle a de moins bon, je veux dire de moins littéraire et de plus pragmatique. Je ne vois que des avantages à nous laisser imprégner par Shakespeare. En revanche, luttons, à l'exemple de nos amis Canadiens du Québec, contre tant et tant d'anglicismes inutiles et désagréables. Le second danger justement rejoint en partie le premier. Il est celui d'une réduction du vocabulaire et de la syntaxe aux mots les plus techniques et aux phrases les moins évocatrices. Il m'est arrivé souvent d'admirer chez mes amis libanais francophones la pureté et la richesse de la langue française». *Le Lien*, Beyrouth, 58e année (1993), n° 4, p. 28.

(٤) أوردنا الكلمات بحسب الترتيب الألفبائيّ.

[ارتدى] = يرتدي. قالوا: «هذه المسألة ترتدي أهمّيّة كبيرة». وهم إنّما ينقلون العبارة الفرنسيّة بحرفها: Cette affaire *revet* une grande importance. وشرّ الترجمة الترجمة الحرفيّة إذا ما شوّهت فرادة اللغة التي يتمّ إليها النقل. وكان الأَوْلى بهم أن يقولوا: «إنّ هذه المسألة ذات أهمّيّة بالغة»، أو: «إنّها بالغة الأهمّيّة».

[أعطى] كثيرًا ما يقولون: «أعطى جوابًا»، متأثّرين بالصيغتَيْن الفرنسيّة والعامّيّة. فالفرنسيّة هي التالية: *Donner* une réponse، أمّا العرب الفصحاء، فيقولون: «أدلى بجواب».

وقرأنا في كتابٍ ألّفَه كاهنٌ مَلَكَ ناصية اللغة وعُرف بأسلوبه السلس الجميل، ما حرفه: «مهما يكن التفسير الذي يُعطى لهذا اللقب» (يُشير إلى لَقَبٍ أُطلِق على إيليّا النبيّ). وجملته، كما هو واضح، طويلة بدون لزوم، ركيكة متأثّرة بما لكاتبها من معرفة الفرنسيّة. إذ إنّنا نعبِّر في هذه اللغة عمّا سبق على النحو التالي: Quelle que soit l'explication que l'on *donne* de ce surnom. أمّا التركيب العربيّ الصحيح، والأسهل لإيجازه، فهو: «مهما يكن تفسير هذا اللقب».

[إلى] قالوا: «قام الرئيس بزيارةٍ إلى نظيره». وهم بذلك ينقلون عن الفرنسيّة: «Le président fit une visite *à* son homologue»، وكذلك عن العامّيّة. وقد يبرّر بعضهم استعمال حرف الجرّ، بدلًا من الاكتفاء بصيغة التعدّي، لظنّهم أنّ هناك فعلًا مستترًا تقديره «ذهب». والأفصح، وبدون تأويل، أن يقال: «قام الرئيس بزيارة نظيره».

[جديد]= من جديد. كثُر استعمال هذه الصيغة في الخطب والكتب والصحف. مثلًا: «تألّق (اللاعب) شوماخر من جديد» (نهار الرياضة والتسلية، بيروت، ٥/١٠/١٩٩٥، ص ١٠). وهم بذلك ينقلون عن الفرنسيّة *De nouveau*. والعبارة دارجة في العامّيّة. أمّا الصحيح فهو: «مجدّدًا»، أو «مرّةً ثانيةً»، بحسب ما يمليه سياق الموضوع.

[دائمًا] سمعناهم يقولون في الإذاعات، بين الفقرة والفقرة، لحثّ

المستمعين على الصبر: «أنتم دائمًا مع إذاعة ف». وتأثُّرهم هنا بالفرنسيّة مفضوح، ينمّ فوق ذلك على جهلٍ أصول النقل جهلًا مُطبِقًا. فعندما يقول المذيع الفرنسيّ: Vous êtes *toujours* à l'écoute de Radio F، إنّما يستعمل كلمة تُؤوّل بمعنيَيْن، أحدهما للدلالة على الاستمرار المؤقّت، والآخر على الاستمرار الدائم. والمراد هنا الاستمرار المؤقّت، لأنّه لا يُعقل أن يُحكم على المستمع المسكين بالبقاء دائمًا مع إذاعة ف. والقول الصحيح هو: «ما زلتم مع إذاعة ف»، أي إلى حين، والحمد لله!

[دراسة] قرأنا العنوان التالي: «دراسةٌ على قانون تقاعد الكتّاب» (الأسبوع الأدبيّ، دمشق، ١٩٩٥/٨/٣١، ص ٧). فالكاتب متأثّر بالصيغة الفرنسيّة: Etude *sur* la loi... والصيغة هي هي في العاميّة. والفصيح هو: «دراسة في قانون...»، أي في موضوعه.

[رفع] كثيرًا ما طالَعْنا قولهم: «رَفَعَ التحدّي» (النهار، بيروت، ١٩٩٣/١/٢١، ص ١). وهم ينقلون من الفرنسيّة بالحرف الواحد: Il a *relevé* le défi. وهذه العبارة الفرنسيّة تَطوُّرُ عبارة سابقة هي Il a relevé le gant، أي «رفع القفّاز». وأصل هذه الاستعارة معروف، خَبَرُه أنّه كان النبلاء في العصر الوسيط بالغرب، إذا ما تحدّى أحدهم الآخر للمبارزة، يرمي قفّازه على الأرض أمامه. فإن انتشل الخصمُ القفّاز و«رفعه»، أشار إلى أنّه قَبِل التحدّي، فقالوا لغةً: «رفع التحدّي»، على نحو ما قالوا «رفع القفّاز»، والعبارتان سيّان. ولكن هل يجوز أن ننقل هذه العبارة، الأجنبيّة المفهوم، إلى العربيّة؟ تقول لا، لأنّ أصل مدلولها غريب عن تقاليدنا، ولو قَبِلنا بها كنّا كمَن ارتدى سروالًا شرقيًّا فضفاضًا واعتمر قبّعة الفرنج. فلا هو غراب ولا حجل! ولْنقل إذًا: «قَبِل (أو: واجه) التحدّي»، بحسب السياق.

[شكا] كثيرًا ما يقولون: «شكا من تدهور صحّته». فكأنّك تسمع فرنسيًّا يعرِّب ما ذكر فيه بلغته: Il s'est plaint *de* la détérioration de sa santé. والعربيّة الفصحى تقول: «شكا تدهورَ صحّته»، في حين تلتقي

الصيغة العامّيّة، مجدّدًا، الصيغةَ الفرنسيّة.

[شَكَّل] يقولون: «تسير السيّارات بشكلٍ فوضويّ»، مقتفين بذلك الأسلوب الفرنسيّ: Les voitures circulent *de façon* désordonnée. فالقول الأصحّ هو التالي: «تسير السيّارات بطريقة فوضويّة».

[شكَّل] يستعملون هذه اللفظة استعمالًا مستمرًّا، علمًا أنّ انعدامها في الجمل التي يقحمونها فيها لا يضير، لا بل الأفصح أن تُلغى. فهم يقولون: «هذا المبنى يشكّل عائقًا أمام السيّارات» (النهار، ٥/١٠/١٩٩٥، ص ٦)[٥]. وكأنّي بهم ينقلون إلى العربيّة الجملة الفرنسيّة: Ce bâtiment *constitue* un obstacle devant les voitures. فلا داعي ألبتّة إلى إيراد فعل «شكّل» في كلّ جملة تسمح مقابلتُها الفرنسيّة أن تُستعمَل فيها كلمة Constituer. والترجمة الصحيحة هي الآتية: «هذا المبنى (هو) عائق أمام السيّارات»، والأفصح أن نقول: «هذا المبنى يقف (أو: يقوم) عائقًا أمام (أو: في وجه) السيّارات».

ويقولون، في سياق آخر: «نشرُ هذه الرسائل يشكّل سابقةً دبلوماسيّة» (النهار ٢٣/٨/١٩٩٥، ص ١٧). والأصل الفرنسيّ في «لاشعور» الكاتب هو: La publication de ces lettres *constitue* un précédent diplomatique. ففي الفرنسيّة نفسها، لا ضرورة ماسّة للفظة Constitue في الجملة السابقة، لكنّها أُدرجت للتوكيد. وحسبنا أن نقول بالعربيّة: «نشر هذه الرسائل سابقة دبلوماسيّة».

وطالَعْنا في مقال أحد المتضلّعين من العربيّة، المرحوم المطران نافوفيطس إدلبي، ما يلي: «كانت تشكّل في الماضي ما اعتدنا أن ندعوه الأخلاقيّة التقليديّة» (نشرة أبرشيّة حلب للروم الكاثوليك، العدد ٣/١٩٩٣ و١/١٩٩٤، ص ١٧٣). ونستشفّ لتوّنا التركيب الفرنسيّ التالي: Elles

---

(٥) سوف يلاحظ القارئ أنّ عندًا لا بأس به من استشهاداتنا التالية منتبس من هذه الجريدة الغرّاء، لا لسبب، إلّا لأنّنا نطالعها كلَّ يوم. وما من صحيفة سواها، بما فيه مجلّتنا المشرق، معصومة من الخطأ في هذا المجال.

constituaient ce que nous avions coutume d'appeler l'éthique traditionnelle. فما ضرّ لو قال، رحمه الله: «كانت في الماضي، إلخ».

ولا ينفكّون يقولون، كلّ مرّة تأتي وزارة جديدة، إنّه تمّ «تشكيل الوزارة» بدلًا من أن يقولوا: «تأليف الوزارة». فـ «التشكيل» هو تعريب لفظة Constitution بحرفها، ولا حاجة إلى هذا النقل الثقيل.

[ضِدّ] يقولون، ولطالما سمعنا وطالعنا: «قاتل ضدّ الوثنيّة»، وهم بذلك يلجأون إلى التركيب العامّيّ أو الفرنسيّ: Il a lutté *contre* le paganisme. ويا ليتهم قالوا: «قاتلَ الوثنيّةَ» وحسب.

وممّا طالعْنا في الصحف: «إعتقال ١٦ أصوليًّا بتهمة التآمر ضدّ الدولة» (جريدة **الأنوار**، بيروت، ٧/٩/١٩٩٢، ص ٧). وتأثير الفرنسيّة هنا ظاهر، فهي تقول: Arrestation de 16 intégristes accusés de complot *contre* l'Etat. أمّا العربيّة الفصيحة فتقول: «... التآمر على الدولة».

وسمعنا مَن قال: «الاتّهامات ضدّ المسيحيّين»، بدلًا من أن يقول: «الاتّهامات الموجّهة إلى المسيحيّين». ولكنّه تأثّر بالتركيب الفرنسيّ فلزمه بلا تروٍّ، وهذا نصّه: Les accusations *contre* les chrétiens.

[عاش] نتردّد هنا في البتّ. فقد أخذ المحدَثون يستعملون فعل «عاش» على نحو لم تألفه العربيّة في ما مضى. يقولون: «الوضع الذي نعيشه»، «نعيش صراعًا مضنيًا»، وهم ينقلون إلى العربيّة تركيبًا فرنسيًّا مَحْضًا، إذ يقول الفرنج في مقابل ذلك: La situation que nous *vivons*, Nous *vivons* une lutte exténuante. والعبارة الفرنسيّة هي نفسها مستحدثة، لجأ فيها المتكلّم إلى المجاز لتأكيد المراد، ولكنّ مجازه لا يخلو من الغرابة وعدم المنطق. فالحياة هي التي تُعاش، لا الأشياء والأحداث، وما يبدو غريبًا في الفرنسيّة، اللغة الأصل، يُستغرب أيضًا في التعبير العربيّ المنقول. والمفروض أن نقول في لغتنا: «الوضع الذي نعيش فيه»، و«نعيش في صراع مضنٍ». غير أنّنا لن نجرؤ على تخطئة مَن يستعمل مثل هذه التعابير، لأنّها أشدّ تأكيدًا من التعبير التقليديّ، علمًا أنّنا

نحجم، في ما يخصّنا، عن استعمالها.

[علّق] يستعملون هذا الفعل أقلّه في حالتَيْن تلجأ العربيّة فيهما إلى فعلَيْن مختلفَيْن، هما: «أَوْلى»، و«أَوْقَف». وإليك التفصيل:

ورد في إحدى الصحف (وليس الأمر وقفًا عليها وحدها): «يعلّق المجلس أهمّيّة كبرى على إفادات القادة» (النهار، ١٩٩٥/٢/٢٣، ص ٥). فالنقل من الفرنسيّة بحرفها الواحد واضح وضوح الشمس في الظهيرة. تقول تلك اللغة في مثل هذه الحال: Le conseil *attache* une grande importance aux dépositions des chefs. فما تسمح به اللغة الأجنبيّة يأباه الأسلوب العربيّ الصحيح، إذ لا يجوز أن تُنقَل الاستعارات بحرفها من لغة إلى أُخرى بدون تكييف، وإلّا وقعنا في المُضحك المبكي[٦]. وعليه، فالأحرى أن نقول هنا: «يُولي المجلس إفاداتِ القادة أهمّيّةً بالغة».

وقالوا في سياق آخر، وكلّما أزاحوا عنّا شبحَ إضرابٍ وافد: «عَلَّقُوا الإضراب»، وهم إنّما يترجمون العبارة الفرنسيّة: Ils ont *suspendu* la grève، وهي تشير إلى إيقاف (قد يكون مؤقّتًا). ومعنى الفعل في هذه العبارة الأجنبيّة مجازيّ، لأنّهم يرون أنّ تعليق الشيء مرفوعًا عن الأرض، غيرَ ثابتِ الحال (Suspension)، هو خير ما يُصَوِّر، في عرفهم، الإيقاف، والمؤقّت منه خاصّة. أمّا العربيّة فلا تربط بين هذا المفهوم وكلمة «علّق» وتفضّل استعمال لفظة «أوقف» أو، زيادةً في الدقّة «أوقف إلى حين». ولكن لا بدّ من الزيادة أنّنا لا نرفض رفضًا باتًّا استعمال كلمة «علّق» في مثل هذه الحال، لأنّها تعبّر عن المراد بإيجاز ومسحة من

---

(٦) كثيرًا ما يتندّر الفصيحون في الفرنسيّة فيترجمون إلى هذه اللغة «عربايزمات» Arabismes بالحرف الواحد، كما لو ترجمها مَن كانت معرفته بلغة راسين سطحيّة، فيقولون: Il a salué sur lui (سلّم عليه)؛ و Je lui ai calculé mon calcul (حَسَبْتُ له حسابًا) بدلًا من J'en ai tenu compte؛ و Mon sang a bouilli (فارَ دمي) بدلًا من Mon sang n'a fait qu'un tour، إلخ. فلماذا نهزأ من الترجمات الركيكة إلى اللغات الأجنبيّة، ونتساهل في ترجماتنا الركيكة إلى لغتنا؟

الخيال المليح تفتقدهما العبارة العربيّة «أوقف إلى حين». ومتى كان الاقتباس من الأجنبيّة يَحْمل جديدًا مستساغًا، فلا بأس بتبنّيه.

[غطّى] لاحظنا، في استعمال هذا الفعل، حالتين: الأولى لا نرضى عنها، والثانية فيها نظر. ففي الحالة الأولى يستعملون لفظة «غطّى» حيث يُفترض اللجوء إلى كلمة «شَمَل». مثال على ذلك: «تغطّي إبرشيّة الإسكندريّة مصرَ والسودان والحبشة»، وهم إنّما ينقلون القول الفرنسيّ: L'éparchie d'Alexandrie *couvre* l'Egypte, le Soudan et l'Ethiopie. أمّا الفصحى فتقول إنّ الإبرشيّة تشمل مصر وسواها من البلدان.

ويقولون بلغة وسائل الإعلام إنّ الصحافيّ فلان «غَطّى مهرجان الشعر»، ويعنون بذلك أنّه واكب الحدث ونقل تفاصيله إلى قرّائه. وأصل الاصطلاح فرنسيّ: Il a *couvert* le festival de la poésie. أمّا نحن، فكنّا نفضّل ألّا يُقحم هذا التعبير الغريب في مُعجَم إعلاميّينا، ولكن لا سبيل إلى الاستغناء عنه في الوقت الحاضر، بانتظار مَن يتحفنا باللفظة التي تنوب عنه فتحلّ على الرحب والسعة.

[قدّم] يطلع عليك هذا الفعل، أكثر ما يطلع في الصحف التربويّة أو المدرسيّة، مقرونًا بلفظة «امتحان». فيكتبون: «قدّم طلّابنا امتحانهم»، وتتساءل متعجّبًا: متى كان الامتحان هديّةً تُقدَّم؟ ثمّ تتذكّر أنّ الفرنسيّة لها أثرها في هذا التعبير، فهي تقول في هذه المناسبة: Nos élèves ont *présenté* leur examen. أمّا منطق العربيّة، فيدرك تمامَ الإدراك أنّ الامتحان حدث يَفْرض نفسه على الإنسان، فيخضع له. لذا فالأولى بمربّينا أن يقولوا: «خضع طلّابُنا للامتحان»، أو: «تقدّموا إلى الامتحان».

[كما] يستعملها بعضهم بمثابة حرف الكاف، فيقولون: «هو كما الزهرة»، يريدون أنّه كالزهرة. وهم بذلك إنّما ينقلون العبارة الفرنسيّة Il est comme une fleur، وإنّما يريدون إبداع صيغة جديدة شاعريّة النغم، وكأنّي بهم يُضمرون فعلًا تقديره «تكون»، ليقولوا: «هو كما (تكون) الزهرة».

وفي كلا الافتراضين، لا نراهم مصيبين، اللّهمّ إلّا إذا اعتبرنا أنّه يحقّ لهؤلاء الشعراء الثائرين ما لا يحقّ لسواهم.

[لعب] الجميع على علم بالعبارة الرائجة: «لعب دورًا»، وهي كما لا يخفى نقلٌ بالحرف عن العبارة الفرنسيّة: *Jouer* un rôle. ولئن لا تجد الفرنسيّة حرجًا في استعمال فعل «لعب» Jouer للإشارة إلى التمثيل، إلّا أنّ الذوق العربيّ السليم يستنكف من هذه الصيغة، لا سيّما في مصطلحها المجازيّ. ولدينا والحمد لله عبارات بديلة أسلم وأجمل، نوردها في ما يلي: «مثّل دورًا - قام بدور - اضطلع بدور». والصيغتان الأخيرتان، لا سيّما الثالثة، أصلح للاستعمال المجازيّ.

[لَمْ ولن] كثيرًا ما نسمع خطباءنا يعلنون ما يشبه التصريح التالي: «لم ولن نقبل هذا الوضع!»، وفي هذه الجملة عيبان: أوّلهما أنّها صيغت بحسب التركيب العامّيّ والأجنبيّ: Nous *n'avons* pas accepté et n'accep*terons* pas cette situation، في حين أنّ الصيغة العربيّة تُلحق المفعول بالفعل الأوّل مباشرةً، فتأتي على النحو التالي: «لم نقبلْ هذا الوضع، ولن نقبلَه». والعيب الثاني هو أنّ الفعل في صيغة خطابتنا لا تستقيم له حركة، إذ إنّ حكم «لم» هو الجزم في حين أنّ حكم «لن» هو النصب. فكيف التوفيق بين حكمَيْن متناقضَيْن!؟

[ليس فقط] لا يندر أن نطالع مثل الجملة التالية: «المهمّ ليس فقط أن يشفي أجسادنا، لكن أن يعزّز أمانتنا»، ونحن نستشفّ منها لتوّنا التركيب الأجنبيّ: L'important *n'est pas seulement* qu'il guérisse nos corps, mais qu'il confirme notre fidélité. والتركيب العربيّ الصحيح يفصل بين «فقط» و«ليس»، لا بل يستعمل هنا حرف «لا» بدلًا من «ليس» فيبرز على الوجه التالي: «المهمّ لا أن يشفي أجسادنا فقط (أو: وحسب)، لكن (أو: بل) أن يعزّز أمانتنا».

[نظر] طالعنا لأديب معروف، وفي مجلّة أدبيّة مشهورة، يُصدرها جمع من الأدباء الأعلام، العنوان التالي: «نظرة تحليليّة على قانون

تقاعد الكتّاب» (الأسبوع الأدبيّ، ٣١/٨/١٩٩٥، ص ٢). ويبدو أنّ صاحبه تأثّر بالفرنسيّة تأثّرًا بالغًا[٧]، إذ إنّ الصيغة المعهودة في هذه اللغة هي: Aperçu critique *sur* la loi... أمّا بالعربيّة فلا يُنظَر على الشيء بل إليه، ونقول في هذه الحال: «نظرة تحليليّة إلى قانون...». وقد صادفنا مثيل عبارة الأسبوع الأدبيّ في مجلّة أُخرى معروفة ومشهورة، هي الرصد (العدد ٥٣ - آب وأيلول ١٩٩٥، ص ١٩٨)، حيث ورد: «نظرة على السياحة في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة». ولعلّ صاحبها - ومثله صاحب العبارة الأُولى - أراد أن يقول باختصار: «(إلقاء) نظرة على...» ولكن، هنا أيضًا، يظهر التأثير الأجنبيّ (والعامّيّ)؛ فالعبارة الفرنسيّة هي Jeter un regard *sur*... أمّا العربيّة السليمة فتقول: ألقى نظرة إلى...، ألقى السمع إلى... ألقى إليه السلام؛ إلخ....

[نقطة] كثيرًا ما يقولون، خاصّة في الإذاعات والتلفزة: «نال التلميذ نقطةً إضافيّةً أنجحته»، وهم متأثّرون بصيغة فرنسيّة ينقلونها إلينا غيرَ مرغوب فيها: L'élève a obtenu *un point* supplémentaire qui l'a fait réussir. ولا يخفى، إلّا على هؤلاء، أنّ لدى العربيّة كلمة تفي بالمراد وهي علامة. فحبّذا لو يقولون في المستقبل: «نال علامةً إضافيّة...».

وينقلون كلمة point، في معنى لها آخر، باللفظة نفسها، إذ يقولون: «هذه نقطة مهمّة»، وهم يعنون بمفهوم الفرنسيّين C'est un *point* important، والصحيح في مفهومنا العربيّ «هذا أمرٌ مهمّ» أو «هذه مسألة مهمّة» أو «هذه ناحية مهمّة»، بحسب ما يقتضيه المقام.

ولا بأس باستعمالهم لفظة نقطة في عبارة مستوحاة من الفرنسيّة هي الآتية: «وَضَعَ النقاط على الحروف» Mettre les points sur les i. فهذه الترجمة الحرفيّة لا غبار عليها، لأنّه ليس في العربيّة ما يفي بمعناها، وقد كُيِّف ما توجَّب تكييفه فنُقِل حرف «i» بلفظة «الحروف».

---

(٧) وقد سبق أن لاحظنا لدى الكاتب نفسه غلطًا مماثلًا (أطلب لفظة «دراسة»).

[هدف] يجرّون هذه الكلمة بحرف الباء فيقولون: «تطوّع في الجيش بهدف تحرير وطنه». وهم يعنون، لو أفصحوا: «تطوّع... بغية تحرير...». وإنّما تمسّكوا بحرف العبارة الفرنسيّة *dans le but de*.

[وجب] يقولون: «ذلك لا يجب أن يدعو الكويت إلى عدم تطوير قدرات جيشه» (أسبوعيّة الوسيط، لندن، ١٨-٢٤/٩/١٩٩٥، ص ٩). واستعمال أداة النفي قبل فعل «وجب» صيغة ألفتها العامّيّة وسادت في الفرنسيّة: Cela *ne doit* pas amener le Koweit à... ومنطق العربيّة يفرض أن يكون الواجب مرتبطًا دومًا بالإيجاب، فيقال: «ذلك يجب ألّا يدعو الكويت...».

[وجد] لفت انتباهنا الجملة التالية: «أجد السعيَ وراء المسؤولين عن هذه القضيّة أمرًا جيّدًا» (النهار ٢٠/٢/١٩٩٣). فإنّهم استعملوا فعل وجد حيث لا يجوز استعماله، وقد أرادوا نقل العبارة الفرنسيّة Je trouve que، وهي لا تعني «العثور» على شيء، بل تفيد أنّ قائلها «يرتئي» أمرًا ما. لذا يقول الفصحاء: «أرى أنّ السعيَ... إلخ».

ويقولون، وبئس ما يفعلون: «يتواجدون بكثرة في المنطقة». وهم إنّما ينقلون العبارة الفرنسيّة ...*Ils se trouvent* en grand nombre، وقد فاتهم أنّه لا أثر في العربيّة لفعل تواجد بهذا المعنى. و«تواجد» المرء، بحسب المعاجم، يعني أنّه «أرى من نفسه الوَجْد، أي الفرح أو المحبّة أو الحزن». فالبُعد بين هذا المفهوم الصحيح وذاك العليل بُعْدُ الثرى عن الثريّا!

ثانيًا: الهجين في بعض الصيغ النحويّة

سنشير هنا إلى صيغتَيْن تمتُّ إحداهما إلى أفعل التفضيل والثانية إلى مكان ضمير الغائب، ونركّز بعد ذلك بشيء من الإسهاب على سوء استعمال حرف اللام في الإضافة.

السليمة في مقابلة الركيكة زيادةً للفائدة[٨].

«الدور العلميّ للسريان» (المجلّة البطريركيّة للسريان الأرثوذكس، دمشق ١٩٩٤، ص ٨٩)	- دور السريان العلميّ + السريان ودورهم العلميّ
«البعد الإقليميّ للعلاقات الاقتصاديّة» (النهار، ٥/١٠/٩٥، ص ١١)	- بُعد العلاقات الاقتصاديّة العلميّ - البعد الإقليميّ في العلاقات الاقتصاديّة + العلاقات الاقتصاديّة في بعدها العلميّ
«الترجمات العربيّة للكتاب المقدّس» (وهو عنوان كتاب عُرض على دار المشرق ليُنشَر فيها)	+ ترجمات الكتاب المقدّس إلى العربيّة - الكتاب المقدّس وترجماته (إلى) العربيّة - الكتاب المقدّس في ترجماته (إلى) العربيّة
«الرئيس العامّ للجمعيّة البولسيّة» (النشرة العائليّة، صافيتا، عدد ٨٦، ١٩٩٤، ص ١٠٤)	- رئيس الجمعيّة البولسيّة العامّ + الرئيس العامّ على الجمعيّة البولسيّة.

٢ - لتحاشي الالتباس: يقولون مثلًا: «الوظيفة الاجتماعيّة للكنيسة» (مجلّة الأرشيف، زحلة، تشرين الأوّل ١٩٩٣، ص ١٠)، وأغلب الظنّ أنّهم لم يستسيغوا الصيغة الفصيحة بحرفها: «وظيفة الكنيسة الاجتماعيّة» لأنّها تدعو إلى الالتباس والتساؤل: مَن هو اجتماعيّ؟ الكنيسة أم الوظيفة؟ لذا لجأوا إلى التركيب الأجنبيّ: La fonction sociale *de* l'Eglise، فحلّت «اللام» محلّ الحرف الفرنسيّ *de*. ويا ليتهم حلّوا الإشكال بأسلوب مختلف أفصح فكتبوا: «الكنيسة ووظيفتها الاجتماعيّة» أو: «الكنيسة في وظيفتها الاجتماعيّة».

ويمكن الخروج من المأزق بصيغ أُخرى تختلف باختلاف الجُمل وسياقها.

---

(٨) أشرنا بصليب (+) إلى الصيغة الفُضلى في رأينا.

٣ - عند الإضافة إلى اسم الفاعل: سمعنا أحد المذيعين يعلن: «يُعتبر السيّد فلان أحد الزعماء المعارضين بشدّة للحكومة». فجاءت عبارته ركيكة جدًّا لأنّه لم يحسن معالجة التقاء المضاف إليه: «الحكومة»، والاسم الفاعل المضاف: «المعارضين»، فركن إلى أهون ما تبيّن له من سُبُل، وهي الصيغة الأجنبيّة وحليفتها العاميّة: M[r] Untel est considéré comme l'un des chefs fortement opposés *au* gouvernement. ويا ليته فكّر قليلًا بمنطق لغتنا واستنجد بالفعل الذي هو حلّال العقد أبدًا في الإنشاء العربيّ، فقال: «يُعْتَبر السيّد فلان أحد الزعماء الذين يعارضون الحكومة بشدّة»، أو «... المعارضين الحكومة بشدّة»[٩].

٤ - عند تعدّي الفعل إلى مفعولين: كثيرون من كتّابنا لا يحسنون التصرّف عندما تعترضهم الأفعال التي تتعدّى إلى مفعولين. ومنها فعل «أعطى»، وقد فوجئنا يومًا، لدى قراءتنا أحد المقالات، بالجملة السقيمة التالية: «تُعطي له تكامله» (الأسبوع الأدبيّ، ١٧/٨/١٩٩٥، ص ٦)، وهي نقل مستَسْهَل متسرِّع عن الصيغة الفرنسيّة Elle *lui* confère sa complémentarité. والأصحّ أن يُراعى حكم «أعطى»، فيُكتب: «تعطيه تكاملَه»!

وسمعنا مرّة مَن يقول: «رفض أن يُري مخطوطه ليوسف»! وكأنّنا نسمع فرنسيًّا مبتدئًا بالعربيّة ينقل عن لغته الأمّ Il refusa de montrer son manuscrit *à* Yûsuf. أمّا العربيّ الفصيح فيقول: «رَفَضَ أن يُري يوسفَ مخطوطه». وقد يُقال، بتحريف المعنى قليلًا: «رفض أن يرى يوسفُ مخطوطه».

---

(٩) لا ننكر أنّ ثمّة موضعًا يجيز استعمال اللّام مع اسم الفاعل، إذا كان على وزن من أوزان المبالغة، مبنيًّا من الثلاثيّ، وتكون اللّام عند ذاك للتقوية. فتقول مثلًا: «فلانٌ حلّالٌ للعُقَد كافٍ للمهمّات» (المنجد، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٤٧). ومثله قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

«حمّالُ ألويةٍ، هبّاطُ أوديةٍ، شهّادُ أنديةٍ، للجيش جرّارُ».

وهذا الاستعمال عرضيّ، كما هو بيّن في البيت المذكور.

٥ - عند الإضافة إلى اسم المرّة: ورد في أحد الأحاديث الإذاعيّة الأدبيّة: «هذا ما أراد الجاحظ إفهامَه للقارئ». وإنّها لعمري جملة في غاية الركاكة: أوّلًا، لاستعمال اسم المرّة (إفهام) في مثل هذا السياق، والأفصح استعمال الفعل، وثانيًا، لاستعمال حرف اللام في الإضافة خلافًا لما تبيحه العربيّة. ولكنّ صاحب القول عمد، شأنه شأن سواه، إلى أسهل الطرق، مقلّدًا التركيب الفرنسيّ: C'est ce que Gâḥiz a voulu faire comprendre *au* lecteur. أمّا التركيب الصحيح فهو: «هذا ما أراد الجاحظ أن يُفهِمَه القارئ»، لأنّ فعل «أفهم» يتعدّى إلى مفعولين. ولكن، ما كلّ صحيح جميل، فالصيغة الأخيرة ثقيلة على أذن السامع، والأفضل أن نستبدل بها صيغةً أجملَ وأرشق، وإن بدّلتَ في المعنى شيئًا يسيرًا: «هذا ما أراد الجاحظ أن يَفهَمَه القارئُ».

ومن سوء تأدية الإضافة إلى اسم المرّة، هذه الجملة: «الممارسة الكاملة لهذه الحقوق» (النهار، ١٦/٩/١٩٩٥). فإنّه يُخيّل إليكَ وأنتَ تطالعها أنّك تترجم الجملة الفرنسيّة La pratique complète *de* ces droits. بيد أنّ العربيّة لا تقبل بهذه الصيغة وتؤثِر التعبير التالي «ممارسة هذه الحقوق كاملةً».

٦ - في نقل أسماء العَلَم: طالعنا كتابًا صدر في بيروت منذ سنتين بعنوان: «رسائل القدّيسة تريزيا للطفل يسوع». فقد أُرتج على المترجم نقل الأصل الفرنسيّ Lettres de Sainte Thérèse *de* l'Enfant-Jésus، وحلّ المشكلة الناتجة من حرف de بنقله إلى حرف اللام. وكان الأَوْلى به أن يترك الإضافة تجري مجراها الطبيعيّ فيكتب: «... تريزيا الطفل يسوع».

وقرأنا مرّة مقالًا حول «القدّيس يوحنّا للصليب» أي Saint Jean de la Croix. فما أبشع الترجمة هذه! والتسمية المعهودة هي الأصحّ والأجمل: «يوحنّا الصليب».

الخاتمة

حاولنا دراسةَ تشويه العربيّة الفصحى بتأثير اللغة الفرنسيّة واللغة العاميّة. وأوردنا لدعم آرائنا أمثلةً كثيرة، هي في الحقيقة غيض من فيض، وقد أحجمنا عن الاسترسال في عرضها لئلّا نرهق القارئ. ولئن ذكرنا بعض المراجع جهرًا، فلتثبيت طروحاتنا فقط، إذ لا ندّعي من جهتنا بلوغ الكمال. ونكرّر، قبل طيّ الملفّ، ما سبق أن قلناه: لسنا من رافضي التبادل بين اللغات، ففي الأمر كلّ الغنى. ولكنّا نرفض سلوك الطريق الأسهل، والقبول بالعجمة والركاكة. وقد رأينا أنّ هناك استعارات فرنسيّة نُقلت إلى العربيّة نقلًا موفّقًا، لأنّها راعت الذهنيّة العربيّة أو لأنّها سدّت بعض الفراغ. فإليها وحدها ينبغي الركون.

ولعلّ بعض قرّائنا لاحظوا أنّ العاميّة وافقت الفرنسيّة في كثير من الأحيان. فيحقّ لهم طرح السؤال: أليس من الغريب أن تكون التراكيب العاميّة أقرب إلى تراكيب الفرنسيّة منها إلى الفصحى؟ والجواب واضح: لأنّ كلتا اللغتين، بصفة كونهما من اللغات الحيّة، تتطوّران بسرعة وتكسران الأطراق لبلوغ أقصى حدود السهولة. وبقدر ما تسير كلّ واحدة نحو التبسيط، تلتقي الأخرى. ولكن، ما دامت الحالة هذه، لِمَ لا نُخضع الفصحى لعمليّة التكسير والتبسيط، من أجل مواكبة سنّة التطوّر؟ نقول: ليس كلّ تبدُّلٍ تطوّرًا، ونحن لا نبغي للغتنا أيَّ تبدُّل، بل التغيير الذي يضمن تطوّرًا معقولًا يحافظ على الجوهر والتراث. وإن بقي في العربيّة قليل من الصعوبات والصيغ التي تختلف عمّا هو عند سواها، فأين الضرر؟ فبعض ما يقولون فيه إنّه من السلبيّات، لا يوازي شيئًا إذا ما قورن بكلّ ما هنالك من إيجابيّاتٍ الكنز الذي بين أيدينا. اللغة العربيّة أمانة في أعناقنا، فلا يجوز التفريط بها.